حمّى الألقاب

واحدة من مفاخر الناس فيما بينهم الألقاب التي يشتهرون بها، وهي بحسب النسب والمهن والأصول والحصول وغيرها، مما يمكن أن يصحّ الانتساب إليها، وعادة يفخر أصحابها بها أو يُعرفون بها دون غيرهم. فالأصل أن لا يزاحمهم في حقّهم من يفتقد ماهيّة اللقب، ولا يخفى الدخيل المفتضح الذي تسمّى بما هو ليس له، ومن الألقاب التي يسهل مصادرتها: (الحاجّ، الملّا، الشيخ، الأستاذ، السماحة، الدكتور، الدولي...). وفي حقيقة الأمر أن هذه المسمّيات و إن تنوّعت واختلفت مصاديقها فإننا نجد من يحاول جمعها في شخصه و إن كان بعيدًا عنها؛ والمشكلة أن الناس يساعدون و يشجّعون على هذا النوع من الفساد، فكما هو معلوم أن من يتّصف بشيء ليس فيه فقد أفسد وهذا غالب على بعض الناس مع الأسف.

إن المجتمع يتحمّل جزءًا من المسؤولية في الدفع باتّجاه هذا النوع من الفساد، فمثلًا تجد عموم الأغنياء وأصحاب النفوذ يُعرفون باسم : (الحاجّ)، في حين أن هذا اللفظ انحصرت دلالته بمن تشرّف بحجّ بيت الله الحرام، ومصادرته بجعله في غيرهم إنما هو تجاوز سافر على المفاهيم، و إسقاط لهيبة اللّفظ ، ومصادرة لمكانته الاعتبارية، وهكذا في كثير من الألقاب والمسميات التي سُرقت في وضح النهار من قبل المتسلّقين في مختلف الأوساط العلميّة والفنيّة والاجتماعيّة.

ومن الجدير بالذكر أن الوسط القرآني هو الآخر أصيب بحمّى الألقاب، فاليوم نشهد في سوق ألقاب القرآنيين مختلف الأوصاف وأبرزها: (الأستاذ، القدير، الدولي)، والمشكلة أن أكثر من يحملها أو يحاول ارتداء هذه القمصان الأنيقة لا يحسن حقوقها؛ بل قد يسيء إلى هذه المعاني الابتلائية، فكما هو معلوم أن الذي يرتفع رتبة من العلم يرتفع رتبة في التواضع؛

لأن التواضع زينة العلم. ومن المهم أن نعلم أيضًا أن الذين يسرقون هذه الألقاب في الغالب يعيشون حالة النقص في نفوسهم فيتصوّرون أنهم يكتملون بهذه الألقاب التي قد لا يلتفت إليها أهل العلم ولا يشغلون أنفسهم بها.

ومن المناسب أن نتذكّر في هذا السياق أن كبار الشخصيات العلميّة والأدبيّة والفنيّة زهدوا عن الألقاب وتركوها لمن يحتاجها، فمثلًا عملاق الأدب العربي (طه حسين)، وهكذا الشعراء أمثال أحمد شوقي والمفكّرون والعلماء والمثقّفون نجدهم يُعرفون بأسمائهم التي عُرفوا بها في خارج الوسط الذي تميّزوا به، وكانت المسميات تركض إليهم ولكنهم عزفوا عنها لعدم حاجتهم إليها، فالإنسان يرفعه فعله ولا ينفعه ما تسمّى به إن أخَّره عمله، فالرسالة التي يمكن أن نتعلّمها في زمن حمّى الألقاب تقول: قدّم نفسك من طريق ما تنتجه لا من طريق ما ينتجك والحليم بالإشارة يفهم.